المدينة المنورة في وجدان شعراء الشّعر الفصيح في السودان)
(دراسة وصفية تحليلية)

د. بابكر خالد عبدالواحد محمد [1]

المستخلص

هدفت الدراسة إلى التعرف على الشعر السوداني الذي عبر فيه الشّعراء عن حبهم العميق للمدينة وعن حب الشعب السوداني لها، والأسباب التي دعت الباحث الى اختيار الموضوع هي: التوثيق للشعر السوداني الفصيح و الذي عبر فيه شعراء السودان عن محبتهم للمدينة المنورة، وأهمية البحث تكمن في اظهار محبة شعراء السودان لها ـ وتكمن مشكلة البحث في إحصاء نماذج لشعراء الشعر السوداني الفصيح الذينِ عبروا في شعرهم عن حبهم للمدينة المنورة ، وطرح الباحث مجموعة من الأسئلة لتكون الإجابة عنها نتائجٍ تثري البحث؛ ومن أهمها: (ما الشعر السوداني الفصيح الذي عبر فيه الشعراء عن حبهم للمدينة المنورة؟ ما أجمل ما قيل في الشعر العربي والإسلامي عن

(1) أستاذ الدراسات الأدبية والنقدية المشارك بجامعة أم القرى

مدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ ما مكانة المدينة في وجدان الشعب السوداني؟ وطبيعة البحث تقتضي أن يستخدم الباحث (المنهج الوصفي التّحليلي)؛ ـ ومنهج الباحث في البحث هو عزو الشواهد الشعرية الى مصادرها الرئيسة وتوثيق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ترد في البحث، ومن ثم شرح المفردات الغريبة إن وجدت. وقسم الباحث بحثه الى مبحثين على النحو التالي: (المبحث الأول: تمهيد يحوي التعريف بالمدينة وفضلها وأجمل ما مقيل في الشعر العربي والإسلامي عنها)، (والمبحث الثاني ـــ عنوانه: المدينة في وجدان شعراء الشعر الفصيح بالسودان)، وسيُختم البحث بخاتمة تحوي النتائج والتوصيات، ومن ثم المصادر والمراجع التي استفاد الباحث منها.

Abstract

The study aimed to identify Sudanese poetry in which the poets expressed their deep love for Medina and the love of the Sudanese people for it. The reasons that prompted the researcher to choose the topic were: documentation of eloquent Sudanese poetry in which Sudanese poets expressed their love for Medina. The importance of the research lies in Showing the love of Sudanese poets for it. The problem of the research lies in enumerating examples of poets of eloquent Sudanese poetry who expressed in

their poetry their love for Medina. The researcher presented a group of Questions to answer results that enrich the research. Among the most important of them is: (What is the eloquent Sudanese poetry in which the poets expressed their love for Medina? What is the most beautiful thing that was said in Arab and Islamic poetry about the city of the Messenger of God - may God bless him and grant him peace? What is the city's status in the conscience of the Sudanese people? The nature of the research requires that the researcher use (Descriptive-analytical method); The researcher's method in research is to attribute the poetic evidence that appears in the research to its main sources, and to document the Qur'anic verses and Prophetic hadiths that are mentioned in the research. Then explain the strange vocabulary, if any. The researcher will divide his research into two sections as follows: (The first section: an introduction containing the definition of the city, its virtues, and the most beautiful things said about it in Arab and Islamic poetry), (and the second section - its title: The city in the conscience of poets of eloquent poetry in Sudan). The research will conclude with a conclusion containing the results and recommendations, then there are the sources and references that the researcher benefited from

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، إنه من نعم الله وتوفيقه أن يوفق الباحث الى مواصلة التوثيق للأدب السوداني بشقيه الفصيح والشّعبي والذي لم يجد الرعاية من اعلام بلادي والحظ الأوفر من البحث والتنقيب من الباحثين في وطننا الحبيب حتى يثري

المكتبة السودانية والإسلامية؛ لاسيما فيما جاشت به قرائح شعراء السودان في محبتهم للمدينة المنورة.

ولموضوع البحث أسباب، ومشكلة بحث، وأهداف، وأهمية، ومنهج يُتقيدُ به وأسئلة تحتاج الى إجابات، وهيكل يلتزمه الباحث ليتوصل من خلاله إلى خاتمه يورد فيها النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث. يلخصها الباحث في الآتي:

أسباب اختيار الموضوع ـــ وتكمن أسباب اختيار الموضوع في الآتي: ـــ

ـــ جمع وإحصاء وتحليل وتوثيق الشعر السوداني الفصيح والذي عبر عنه شعراء السودان عن محبتهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولمدينته المباركة.

ـــ مواصلة الباحث في التّوثيق لأعلام العلم والأدب والذين لم يجدوا العناية والاهتمام الكبير من الإعلام السوداني.

مشكلة البحث: القراءة العميقة والدقيقة في كتب الأدب السوداني؛ لإحصاء الشعر السوداني الفصيح والذي عبر فيه شعراء السودان عن محبتهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولمدينته المنورة.

أهداف البحث: ويهدف البحث إلى تحقيق الآتي: ـــ

ـــ التعريف بشعراء الشعر السوداني الفصيح والذين عبروا عن محبتهم لرسول الله ولمدينته المنورة.

ـ تبصير القارئ الكريم بمحبة الشّعب

السوداني للنبي محمّدٍ ولمدينته المنورة.

ـــ اثراء المكتبة السودانية والإسلامية بما جاشت به قرائح شعراء السودان في محبتهم للمدينة المنورة.

ـــ افادة الباحث بالمصادر والمراجع التي وثقت لتعبير شعراء السودان عن محبتهم لطيبة الطيبة.

أهمية الموضوع ـــ وتكمن في الآتي:

ـــ البحث يتحدث عن أعظم بقعة على ظهر الأرض بعد مكة المكرمة وهي (المدينة المنورة)

ـــ اظهار محبة شعراء السودان لرسول الله ـ صلى الله عليه ـ وسلم ولمدينته المقدسة.

ـــ بيان أن معظم شعراء السودان هاموا عشقاً بمكة المكرمة ومدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

ـــ **منهج البحث:** طبيعة البحث، تتطلب من الباحث استخدام (المنهج الوصفي التحليلي) ليصف ويحلل الاشعار التي عبر فيها شعراء السودان عن محبتهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولمدينته المنورة.

أسئلة البحث: وتتمثل في الآتي:

(ماهي فضائل المدينة المنورة؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟ ما أجمل ما قيل من الشعر

العربي والإسلامي في محبة المدينة؟ ما مكانة المدينة المنورة في وجدان الشعب السوداني؟ ماذا قال شعراء الشعر السوداني الفصيح في محبتهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والشوق الى مدينته الطاهرة)؟).

هيكل البحث: قسم الباحث البحث إلى مبحثين، تفاصيلهما كالآتي:

المبحث الأول: عنوانه (التّعريف بفضائل المدينة وأجمل ما قيل عنها في الشعر العربي) ويتكون من مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الاول: التعريف بفضائل المدينة ومكانتها ومعالمها وسبب التسمية.

المطلب الثاني: أجمل ما قيل في المدينة من الشعر العربي.

المبحث الثّاني ـــــ المدينة في وجدان شعراء الشعر السّوداني الفصيح.

المبحث الأول

التّعريف بفضائل المدينة وأجمل ما قيل عنها في الشّعر العربي:

المطلب الاول: التعريف بفضائل المدينة ومكانتها ومعالمها وسبب التسمية.

المدينة المنورة هي قلب العالم والشريان النّابض له، وهي مقر المسلمين جميعاً، وهي المدينة المباركة التي شرفها

الله وفضلها وجعلها خير البقاع بعد مكة المكرمة، وقد وردت النّصوص الكثيرة في فضلها، وحرمتها، ومكانتها، من باب الاخبار، والدّعاء، والتّرغيب، والتّرهيب، وقد جاء دليل حرمتها قي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "اللهم أنّ إبراهيم حرّم مكة فجعلها حرماً، وإنّي حرمتُ المدينة حراماً ما بين مأزِميها، ان لا يهراق فيها دمٌ ولا يُحملُ فيها سلاح لقتال، ولا تخبطُ فيها شجرةٌ الاّ لعلفٍ[1]. والموقع المحرم من المدينة هو ما بين الحرتينِ شرقاً وغرباً، ما بين عير ثورٍ يميناً وشمالاً. ودعا النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمدينة فقال: "اللهم بارك لنا في مدينتنا [2]".

ولقد وصفت المدينة بالمنورة؛ لان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نورها بقدومه اليها، وبما جاء من الهدى والشرع، والمدينة المنورة هي أول عاصمة إسلامية ورد زكرها في كتاب الله أربع مراتٍ، وذلك في قوله تعالى: **(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظُ الكفار ولا ينالون من عدوٍّ نيلاً إلاّ كُتب لهم به عملٌ صالحٌ إن الله لا يضيع أجر المحسنين)**

(1) تفسير القرآن العظيم، (تفسير ابن كثير)، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419ه، ج1، ص (179)
(2) رواه مسلم في صحيحه، عن ابي سعيدٍ الخدري، حديث بالرقم (1374).

(1)

وقال تعالى" (لئن لم ينتهِ المنافقون والذين في قُلُبِهِم مرضٌ والمرجفون في المدينة لنُغرينك بِهِم ثمّ لا يُجاورُنك فيها إلاّ قليلا) 4 وقال تعالى: (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليُخرجنّ الأعزُّ منها الأذلّ ولله العزَّ ولرسوله وللمؤمنين، ولكنّ المنافقون لا يعلمون) [2].

قال تعالى: (وممَّن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمُهُم نحن نعلَمُهُم سنُعذِّبُهُم مرَّتينِ ثُمّ يُرَدُّن الى عذابٍ عظيم) [3]

وكان اسمها قبل الهجرة (يثرب) على اسم زعيم قبيلة في الجاهلية يسمى (يثرب بن قانية بن مهلال) وسماها النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ (المدينة، وطابة، وطيبة) وورد في الحديث الصحيح أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن استخدام اسمها القديم، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله ـ عزّ وجلّ ـ هي طابة وهي طيبة [4])؟ وجاء اسم المدينة باسم (يثرب) في القرآن الكريم مرةً واحدة في سورة الأحزاب في قوله تعالى: (وإذ قالت طائفةٌ منهم يأهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريقٌ منهُمُ النبيَّ يقولون أنّ بُيُتَنَا

(1) التوبة (120) 4/ الأحزاب (60).
(2) المنافقون (8)..
(3) التوبة / (101)
(4) صحيح مسلم، برواية جابر بن سمرة، الصفحة أو الرقم (1385)

عوْرةٌ وما هي بعَورةٍ إن يريدون إلاّ فِرارا)[1] واطلق على اسم المدينة بعد هجرة النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم اسماءً كثيرة ، وكثرة الأسماء تدل على عِظمِ المسمى ، ذكر منها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان تسعةً وعشرين اسماً منها: (المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمحبة، والمحببة، والمحبورة، ويثرب، وأكالة البلدان، والمباركة، والمحفوفة، والمسلمة، والقدسية، والمرزوقة، والحيرة، والمحبوبة، والمحرمة، والمحرومة، والمختارة، والعاصمة، والقاصمة، وغير ذلك). وسماها شعراء السودان في مدائحهم بي ام رخام وام نخيل وام سور وسموا الروضة الشريفة بي ام شباك وأم قزاز وام رسوم الخ). وتأسست المدينة المنورة قبل الهجرة النبوية بأكثر من (1500عام)، وما يميز المدينة المنورة ويعظم فضلها أنّ فيها المسجد النبوي الشريف، وهو من المساجد التي تُشدّ اليها الرحال، والصلاة فيه مضاعفة الأجر الى ألف ضعف فيما سواه. وفيها مسجد قباء والصلاة فيه تعدل عُمرة، ومسجد القبلتين، وفيها الروضة الشريفة والتي هي روضة من رياض الجنة، وجبل أحد وبه سيد الشهداء حمزة ـ رضي الله عنه ـ ووادي العقيق وهو وادٍ مبارك، وتمر العجوة وهو نوعٌ من أنواع تمر المدينة التي تقي من السُّم والسّحر، وتستمد المدينة أهميتها عند

(1) الأحزاب / (13)

المسلمين من هجرة النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ اليها وإقامته فيها طيلة حياته ـ وكانت لها المكانة العالية في قلبه مما جعل ولقد نالت المدينة المنورة حباً كبيراً من النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام و المسلمين يكنون لها كل الحبّ محبةً لله ولرسوله واتباعاً لسنته المطهرة؛ لان الله تعالى قد فرض علينا محبة ما يحبه رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ولقد وردت أحاديثٌ كثيرةٌ في فضل المدينة المنورة منها:

ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما قال: (ان النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم قال:" اللهم قد أخرجتني من أحبّ أرضِك اليّ فأنزلني أحبّ أرضِك اليك) فأنزله المدينة [1].

ـ ومماروي عن ذلك حديث جابر، قال: "جاء أعرابيّ النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم، فبايعه على الإسلام، فجاء من الغد محمولاً، فقال: أقلني، فأبى ثلاث مِرارٍ، فقال: المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها [2].

ـ وقيل: أنّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (أمرتُ بقريةٍ تأكِل القرى يقولن: يثرب وهي المدينة تنفي النّاس كما ينفي الكير خبث

(1) أبو عبد الله، شهاب الدّين، ياقوت بن عبد الله الرّومي الحموي، معجم البلدان، ط2، 1995م، دار صادر، بيروت، لبنان، ج5.

(2) صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغير ة البخاري الجعفي، كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، ط، (السلطانية)، ج9، ص (103) حديث رقم (7322).

الحديد [1] ولعل هذا الذي يدل على رجحان فضلها على سواها من المدن والقرى).

المطلب الثاني: المدينة في وجدان شعراء البلاد العربية:

المدينة المنورة ـ حفظها الله ورعاها ـــ الهمت كثيراً من الشعراء ليسطروا أحلى القصيد ويكتبوا أجمل ما كتب في القريض، ولا شك أنّ أيّ بلدٍ عربيٍ وإسلامي لشعرائه النصيب الأوفر في الحديث عن طيبة الطيبة. فصفحات البحث لا تفي بأن يتحدث الباحث عن كل ما قاله شعراء البلدان العربية في حبهم وشوقهم الى المدينة المنورة، وسيكتفي الباحث بذكر نماذج فقط لبعض البلدان العربية ونموذج واحدٍ فقط لكل بلد عربي ولكنه سيخص البلاد التي شرفها المولى ـ عزّ وجلّ ـــ بخدمة ورعاية الحرمين الشريفين، وأعني المملكة العربية السعودية الحبيبة بأكثر من نص؛ وذلك لكثرة ما قاله شعراؤها من شعر في مدينتهم المقدسة.

المدينة في وجدان شعراء المملكة العربية السعودية:

ومن الشعراء السعوديين الذين جاشت قرائحهم بالتعبير عن حبهم لطيبة الطيبة، الشاعر السّعودي الكبير (عبد المحسن حلّيت مسلّم) في قصيدة عصماء عنوانها: (سيّدة

---

(1) صحيح مسلم، الجامع الصحيح، الامام ابي الحسين مسلم بن مسلم بن الحجاج ط1، المطبعة العامرة في دار الخلافة العلمية 1330ه. برواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـــ الصفحة أو الرقم (1382)، صحيح البخاري، برواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أيضاً الصفحة أو الرقم (1871)

الدّنيا) والتي استهلها قائلاً[1]:

أنا المدينةُ من في الكون يجهلني ******
ومن تراهُ درى عنّي وما شُغلا؟
تتلمذ المجدُ طفلاً عند مدرستي *********
حتى تخرج منها عالماً رجلا
فتحتُ قلبي لخير الخلق قاطبةً ******* فلم
يفارقه يوماً مُنذُ أن دخلا
وصرتُ سيّدة الدنيا به شرفاً *** واسمي لكل
حدود الأرض قد وصلا
ومسجدي كان.. بل ما زال امنيةً ** *تحبو
اليها قلوباً ضلت السُبلاء
فكلُّ مغتربٍ داويت غربته ******** مسحتُ
دمعتهُ.. حوّلتُها جذلا
وفي هوايَ ملايينٌ تنامُ على **ذكري.. وتصحو
على طيفي إذا ارتحلا
تنافسوا في غرامي.. أرسلوا كُتباً *****
وأنفقوا عندها الرُّكبان والرسلا
أنا المدينةُ الفيحاءُ ذا نسبي **
******إذا البدورُ رأتني أطرقت خجلا

قد وفق الشّاعر عبد المحسن في اختيار عنوان قصيدته العصماء فالمدينة ـ لاشك فيها ـ بأنها سيّدة الدنيا ولا أحدٌ في الكون يجهل المدينة ومكانتها فهي شغلٌ شاغل لكل مسلم سليم الفطرة بأن يمني نفسه بزيارتها، وهي مدرسة المجد التي خرّجت الاعلام من الصحابة والتّابعين ويكفيها فخراً بأنها استقبلت

(1) د. ماجد إبراهيم الصاوي: (قصائد مختارة عن المدينة المنورة)، ط1، مطبعة الصلاح، جدة، 1414ه/1997م، ص (174_ 175)

رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالبشر والترحاب في هجرته الميمونة وظل بها الى أن فارقها الى الرفيق الأعلى، وصدق الشاعر بان مسجدها امنية كل مسلم وروضتها الشريفة تهفو اليها قلوب المحبين ، وهي دواء لغربة كل مغترب، فيجد فيها الغريب عن وطنه الملاذ الآمن وملايين الشعراء والرواة تنافسوا في التعبير عن حبهم وهيامهم بها.

وللشّاعر السّعودي الكبير (حسن مصطفى الصيرفي) قصيدة رائعة تحدث فيها عن أمجاد المدينة المنورة، وجارى فيها شاعر النيل (حافظ إبراهيم) والذي نظم قصيدةً مفتخراً ومزهواً فيها بحضارة بلاده (أرض الكنانة مصر) وتراثها وعلمها وعلمائها وجمالها، عنوانها (مصر تتحدث عن نفسها)، قائلاً فيها1[1]:

وقف الخلق ينظرون جميعاً *** **كيف ابني قواعد المجد وحدي

وبناةُ الاهرام في سالف الدهـ *** ر كفوني الكلام عند التّحدي

انا تاج العَلاءِ في مفرق الشر ******** ق ودُرّاتُه فرائد عِقدي[2]

أيّ شيء في الغرب بهر النّا **** سَ جمالاً ولم يكن منه عندي؟

فترابيّ تبرٌ ونهري فراتٌ **********

(1) ديوان حافظ إبراهيم، ج2، بيروت، الناشر محمد امين دمج، 1969م، ص (89 ـــــ 91)

(2) العَلاءِ (بالفتح والمد): الرفعة والشرف، المفرق: (وسط الرأس)، الفرائد: (الجواهر التي لا أنواع لها.

وسمائي مصقولةٌ كالفرند[1]

فقد جارى الشّاعر السعودي (حسن مصطفى الصيرفي) شاعر النيل بقصيدةٍ من نفس البحر والروي تحدث فيها عن أمجاد المدينة المنورة قائلاً فيها[2]:

وقف الناسُ ينظرون مناري *** *كيف شعّ الهدى على كلِّ نجدِ

أنا دارُ الايمان والمثل العل ********* يا ورمزُ الخلودِ في كل مجدِ

أنا إن بدد الظلام شُعاعي *** لن ترى النورَ هذه الأرض بعدي

أنا خير البقاعِ كرمني الله ********** بخير الأنام في خير لحدِ

أنا لا أملأُ البلاد ضجيجاً **** **خادعاً كالسراب ليس بمجدِ

أنا فيما مضى صنعتُ كثيراً ******* وسيبنى الجديدَ لابد زندي

في رحابي ترعرع العلمُ طفلاً *** **ومشى حارثاً جحافل أُسدي

دوخوا قيصراً وطاحوا بكسرى ****** ومضوا يتبعون هنداً بسندِ

حُق لحافظ أن يتباهى ويفتخر بأمجاد بلاده، ولكن عندما يكون التباهي والفخر بطيبة الطيبة فينتهي الفخر. فقد صدق الشّاعر السّعودي (حسن الصيرفي) فيما قاله عن المدينة المنورة ، فإذا وقف الخلق ينظرون

(1) الفرات: (العذب)، والفرند: (السيف).
(2) حسن الصيرفي، (ديوان دموع وكبرياء)، من منشورات نادي المدينة المنورة الادبي د.ت، ص(7ـــ9)

الى (مصر) وهي تبني قواعد مجدها ، حسب قول شاعر النيل فوقوفهم وهم ينظرون الى منارات المدينة الشامخة والتي شعّ الهدى والنور المحمدي فيها وأضاء كلّ فجاج الأرض وإذا افتخر حافظ بأهرامات مصر وتراثها ـ وحق له ـــ فيكفي المدينة فخراً بأنها دار الايمان والمثل العليا ، وإذا كان حافظ وشعبه يكرمون بلادهم ـ وحُقّ لهم ـــ فيكفي المدينة فخراً بأن كرمها الباري في علاه واتخذها داراً ومقراً لصفوة البشر محمّد ـ صلى الله عليه وسلم ـــ فإذا كانت مصر حافظ بهرت عيون النّاظرين بأهراماتها ومناظرها وجمال طبيعتها ، فطيبة الطيبة هادئةٌ وساكنةٌ ووادعةٌ ليس لها ضجيجاً خادعاً كالسراب ليس بمجدٍ. وهكذا حركت عصماء حافظ شاعر السّعودية المبدع (حسن الصيرفي) فجاشت قرائحه وهيجت أشواقه تجاه طيبة النور فقال فيها ماهي أهلٌ له.

المدينة المنورة في وجدان شعراء أرض الكنانة (مصر):

لقد أعجبتني قصيدة لشاعرٍ مصري مسكون عشقاً بطيبة النور، وأعني الشّاعر (أبوزيد إبراهيم سيّد)، فله قصيدةٌ شائقةٌ عنوانها (طيبة النور) تحدث فيها عن حبه وهيامه بالمدينة قائلاً فيها[1]:

يا طيبة الكون يا صبحاً بدنيانا

(1) أبو زيد إبراهيم سيّد، (ديوان مواكب الضياء)، من منشورات نادي المدينة الأدبي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، د.ت، ص (87 ـــ 91).

******** قد فجّر النور في الأكوانِ إيمانا
يا ملحماتٍ من الأمجاد ساطعة ********** سمْعُ الزمانِ بها ما زال ملآنا
يامن حضنتِ هدى الرحمن فأحتض ** نت بكِ الحياةُ حياةً قد علت شأنا
محمّداً أنتِ قد عانقتِ وانطلقت ** *****منك الأغاريدُ ملئُ الكونِ ألحانا
ورفّت الأغنياتُ البيضُ في طربٍ ****** والشّوقُ يسبقُ خطو القومِ نشْوانا
البدرُ قد جاء قد هلّت طوالعه ********** اللهُ أكبرُ خيرُ الخلق وافانا
شُرّفتِ بالمصطفى واصبحتِ طيّبةً ****** فقد ضممتِ أجلّ الخلقِ انسانا

فقد صدق الشّاعر (أبوزيد إبراهيم) فإنّ طيبة قد حضنت هُدى الرحمن وارتفع شأنُها بذلك، وعانقت خير البشر الحبيب محمّدا ـ عليه الصلاةُ والسلام ـ باستقبالها له في هجرته المباركة بالبشر والتّرحاب وهو سعيد لغناء جواري بني النجار فرحاً بمقدمه، ثمّ يواصل الشّاعر حديثه ومعتذراً لطيبة بأنّه لم يكن في غرض الشّعر كشاعرِ النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ (حسان بن ثابت) ـ رضي الله عنه ـ ليقول فيها أجمل مما قال، قائلاً:

يا طيبة النورِ في الأشعارِ معذرةً *** ما كنتُ في روعةِ الاشعارِ حسّانا
إنّ المهابة تكسوني وتغمرني ******* والقدرُ قدرُكِ يعلو الوصف تبيانا
فمالكُ يخلع النّعلين في أدبٍ ********

يمشي وقد طبّق الآفاقِ عرفانا
يقولُ أرْضٌ بخطوِ المصطفى شرُفت *** فتربتُها قد قدت مسكاً وريحانا

فقد ختم الشّاعر قصيده الرائعة في الحديث عن مكانة المدينة المنورة وفضلها، بأن الإمام مالك ـ رحمه الله ـــ يمشي حافياً في أرض المدينة مخافةً أن تطأ نعله على موضع مرّ به المصطفي ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ لأن الأرض التي مشى على تربتها النبيّ ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ أصبحت مسكا وريحان فلا يمكن أن تطأه نعلٌ

المدينة في وجدان شعراء الشّعر السوري:

وأعجب الباحث ـ أيضاً ـ بقصيدةٍ رائعةٍ لشاعر سوريا الكبير (محمّد المجذوب) عنوانُها: (يا مهبط الوحيّ) فلها نصيبٌ وافر في ابراز عشق الشّاعر للمدينة المنورة، يستهلها قائلاً[1]:

طيبةٌ انت يا دار الحبيب فما **** لي بعد لقياك في الأوطانِ من أرَبِ
وهل يلامُ محبٌّ فيك ليس يرى **** نظير معناك في الدُّنيا ولا الكتبِ
في كلِّ ذرةِ رملٍ منكِ معلمةً ***** من ذكرياتٍ ملأن الكون بالعجب
تحكي لنا قصة الفجر الذي انقشعت ** عن البصائرِ فيه ظلمة الرّيبِ
تروي الأعاجيب من أبناء مدرسةٍ **** فيها

(1) محمّد المجذوب، ديوان (آلام وأحلام)، ط1، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي (1413ه ـ 1992م)، ص (9ـــــ11)

الأمينانِ جبريلٌ وخير نبي
ربّى بها الوحيُ جيلاً لا كفاء له ** على البسيطة من عُجمٍ ومن عربِ
بهم تنسمتِ عرش الأرض قاطبة **** وبتِّ سيّدةِ الدّنيا على الحِقبِ

لقد كانت مشاعر الشّاعر السوري (محمّد المجذوب) صادقه في وصفه لطيبة الطّيّبة فهي خير بلاد الله قاطبةً وهي حبيبةٌ لكل مسلمٍ؛ لا نها دار الحبيب المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـــ فهي جمعت الأمينان حامل الوحي ـ جبريل عليه السّلام ـــ والنبيّ محمّد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام. وهيَ التي ربى بها النبيُّ الذين عاصروهُ من عربٍ وعجم، فأصبحت المدينة بذلك سيّدة الدّنيا ولاتزال الاّ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المدينة المنورة في وجدان شعراء المملكة الأردنية الهاشمية:

وللأردن وشعرائها نصيبٌ وافرٌ في حبهم للنبيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـــ ولطيبة الطّيّبة، فلشاعرها المبدع (ماجد إبراهيم العامري)، تحفةٌ شعرية عبّر فيها عن حبّه للمدينة، عنوانُها (هي المدينة)، يقول فيها[1]:

يا جاهز الرّحل ما تنفك ترتحل ** صوب القفارِ وتطوي ركبك السُّبُلُ
فيم ارتيادك.. أطلالاً تذوقُ بها ** طعم الشّقاء.. ويغزو عيشك الوجلُ

(1) عبيد خيري، قراطيس من دفق اليراع وبعض أنفاس الترحال، ط1، المدينة المنورة (1436) ص (447)

الاّ أدلك.. عن دارٍ.. تلوذ بها *** فيشرقُ السّعد.. في جنبيك والأملُ
هيَ المدينةُ.. فاسكن في مرابعها ***** وودّع الهمّ.. وادع الصفو يقتبلُ
وسرّح الطّرف في أرجائها جذلاً *** **وقبّلِ التُّرب.. حتى تثمل القبلُ
هيَ المدينةُ حبل الدينِ متّصلٌ **** في جانبيها.. وثوب الخلقِ مشتملُ
يا بارك الله من صانوا رعايتها ** ***ويرحم الله من حلوا.. ومن رحلوا

ـ لقد صدق الشّاعر (ماجد العامري) بنصحه لكلّ مهموم ومقموم أن يشد الرحال الى المدينة ان استطاع الى ذلك سبيلا فبزيارتها والنظر الى مناراتها يزول الهم ويشعر المقيم بها بالهدوء والسكون والراحة النفسية.

المدينة المنورة في وجدان شعراء فلسطين:

ولشعراء فلسطين الحبيبة حبٌّ وشوقٌ جارف لمدينة رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولشاعرها الكبير (محمّد محمود جاد الله) قصيدةٌ رائعةٌ يتغنى فيها بجمال طيبة الطّيّبة والضياء الذي سكبته في أنفس المسلمين وفي حياتهم؛ لأنها ضمت خير المرسلين وخاتمهم في أبياتٍ تليق بشموخ طيبة النور، يقول فيها[1]:

لك يا طيبةُ علينا عهودُ ***** حبُّنا ثابتٌ وغضٌّ جديدُ
أنتِ للعينِ متعةٌ وغرامٌ ***** وهوى القلبِ

(1) د. ماجد إبراهيم الصّاوي، مصدر سابق، ص (189).

دائـــــــــماً لا يـبـيـدُ
وهو حبٌّ نصونه في قلوبٍ* ***** ذلك الحبُّ كلّ يـومٍ يـزيـدُ
من رأى طيبةً وضمّ رباها ****** فهو والله في الحــــــياةِ سعيّدُ
نحنُ للهِ يا حبيبةُ نحيّا ****** نحـــــــن لله
كُــــــــــــــــــــــــلُّ حينٍ عبيدُ
حيثُ نرجو شفاعةً من حبيبٍ *** يوم نمضي وسائقٌ وشهيدُ
من ينلْ حظه من العيشِ فيها ****** ربُّنا يومــــــــها عليه يجودُ

فقد صدق الشّاعر الفلسطيني (محمّد محمود) بأنّ لطيبة عهد في عنق كلّ مسلمٍ بأنّ يخصها بحبٍّ زائدٍ فيقسم الشاعر بأنّ من رأى طيبة وضم رباها فهو السّعيد ــ لا شك ــــ فهي بها عبق وأريج قبر ــ المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي نرجو شفاعته، والسعيد هو الذي يكرمه الله بالعيشِ فيها.

ـالمدينةُ المنورة في وجدان شعراء اليمن السّعيد:

ومخافة الاطالة يختم الباحث هذا المبحث بالحديث عن مكانة طيبة في وجدان أرقّ الناس قلوباً، وهم شعب وشعراء اليمن السّعيد وفي مقدمتهم شاعرهم المتيم شوقاً بأرض الحجاز (البرعي اليماني) ولشاعر اليمن الموهوب (زين صادق العيد روسي) قصيدة عصماء بعنوان: (مأرز الأيمان) عبر

فيها عمّا يختلج في نفسه من عواطف ومشاعر صادقة نحو طيبة الطّيّبة يقول فيها:

يا لائمي في لوعتي وهيامي **** سأهيمُ عِشقاً قُلتُ للّوّامِ
أحببتُها منذُ الولادةِ والصِّبا ****غرستْهُ أُمّي ذاك قبل فطامي
فنما وشبّ العِشقُ بين جوانحي ***قد صار شُربي والهوى وطعامي
لا عيش لي يحلو بغير حبيبتي **** هي مصدرُ الإيحاءِ والإلهامِ
فإذا رحلتُ فأنتِ غايةُ مقصدي *** حسبي من الدُّنيا وذاك مرامي
حُبُّ المدينةِ نعمةٌ قد خصّها ******** ربُّ العبادِ لكلِّ ذي إفهامِ
هي بلسمي الشّافي وسعْدي والمنى * هي راحي الزّاكي وكأسُ مَرامي
هي مأرزُ الايمان والعلم الذي ***** منها ارتدى حُللاً من الإكرامِ
بلدٌ بها الإسلامُ بثّ علومَه ** ***فسمت على التّعظيمِ والإعظامِ
يا راحلاً نحو العقيقِ عليك أن ***** تلثم ثرى ذاك المقام السّامي

فقد عبّر الشّاعر اليمني بصدقٍ بأن حبّ المدينة بالنسبة له لم يكن جديداً، بل غرست فيه أمّه هذا الحبّ منذ ولادته وقبل فطامهِ وفي مرحلةِ صباه، فنما الحبُّ بدواخله حتى صار شربَه وطعامَه وهواه، فهو لا يستطيع العيش بعيداً عن محبوبته الطاهرة طيبة الطيبة، فحبُّ المدينة نعمة من نعم الله عليه،

وهي بلسمه الشافي وسعادته وغاية امانيه، فهكذا عبر شعراء البلاد العربية عن حبهم للمدينة المنورة.

المبحث الثّاني: المدينة المنورة في وجدان شعراء الشّعر السّودانيّ الفصيح:

الشعر السّوداني الفصيح في السّودان والذي عبّر فيه شعراء السّودان عن حبهم للمدينة المنورة هو امتداد طبيعي للشّعر العربي الذي جاشت قرائح شعرائهم في التعبير عن عشقهم وهيامهم بطيبة الطّيّبة والذي ذكر الباحث نماذج منه في مبحثه السّابق. والحديث عن الشّعر السّوداني الفصيح الذي تحدث عن حبّ شعرائه للمدينة المنورة يحتاج الى أبحاث عِدةٍ، وسيكتفي الباحث بنماذج فقط، ويترك الكثير منه للبحاثة الذين يسيرون في الطريق نفسه؛ ليكون هذا البحث دراسة سابقة لهم، ومن شعراء السّودان الذين عبروا عن حبهم للمدينة المنورة ـــ أعزها الله. الشّاعر محمّد المكي إبراهيم في قصيّدة عنوانُها: (مدينتُك الهدى والنّور)، يقول فيها"[1]

مدينتُك القبابُ ودمعةُ التقوى ووجه النّور
وتسبيح الملائك في ذُؤابات النخيلِ وفي الحصى المنثور
مدينتُك الحقيقةُ والسلامُ على السجوفِ حمامة وعلى الربى عصفور

(1) محمد المكي إبراهيم، ديوان (بعض الرحيق أنا والبرتقالة انت)، ط2، الخرطوم، 1983م، ص (136ـ 138).

مدينتُك الحديقةُ يا رسول الله كل حدائق
الدُّنيا أقلّ وسامةً وحضور
مدينتك الحديقة أقرب الدّنيا الى باب
السماءِ وسقفها المعمور
هنالك للهواءِ أريجه النبويّ موصولاً بأنفاس
السّماءِ وكأنها الكـــــافور
هنالك للثرى طيبٌ بدمع العاشقين ولؤلؤٌ
منثور
هنـــــــــــــــالك للضّحى حِجلٌ بأسوارِ
البقيعِ وقعةٌ وحبور
هنالك للصلاةِ رياضها الفيحاء والقرآن
فجرياً تضيء به لهىً وصدور
بساعات الإجابةِ تحفل الدّنيا وأنهار
السّماءِ تمور
ثمّ يقول مسلماً عليها وعلى معالمها:
سلام الله يا أنحاء يثرب يا قصيدة حبنا
العصماء
سلام الله يا أبوابها وبيوتها ونخيلها
اللّفاء
سلاماً يا مآذنُها وفوج حمامها
البكـــــــــــــــاء
ويا جيل الشهـــــــــــــــادةِ
والبقيعِ سلام

هيجت المدينة المنورة أشواق الشّاعر (محمّد المكي إبراهيم) وهو في عاصمة الضباب لندن في عام 1983م فأخذ يصف في المدينة وقِبابها ونخيلها وحمامها البكاء ويصف جمالها فكل حدائق الدّنيا أقل وسامةً وجمالاً من مدينة رسول الله والذي زادها

جمالاً احتضانها له وترحيبها به، فالمدينة أقرب المدائن الى السماء وسقفها المعمور وعبق وأريج قبر المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جعل عطرها وأريجها كرائحة الكافور، وهو من على البعد يحيها مسلماً عليها وعلى أبوابها وبيوتها ونخيلها ومآذنها وحمامها ويحي شهدائها الأبرار.

ولمفخرة الشّعب السوداني والأمة العربية والإسلامية، الأستاذ الدّكتور/ عبد الله الطّيّب المجذوب ـ رحمه الله ـ قصائد رائعة وشائقةٌ في حبّه للمدينة المنورة، منها قصيدة بعنوان: (الأُقحوان المفلج)، يقول فيها[1]:

وما زرتُ بيتَ الله إلاّ
تقرّبا *** إليه وغيرى للفريضةِ حُجّجُ
وإنّ طوافي البيتَ ثمّ
إفاضتي *** إلى حيثُ أرمي منعةٌ وتفرُّجُ

وحرّك قلبي للمدينةِ حبُّها
***وفيها سراج الظلمة المتسرّجُ
شفيعٌ لدى الله الحميدِ مقامُه ***
حميدٌ به نرجو نفوز ونعْرُجُ
به أبداً مستمسكونَ وهديُهُ ***
مصابيحُنا واللّيل بالقوم مُدْلجُ
وأنّ الذي في حبّةِ القلبِ حُبُّه
***** كنينٌ به نرجو من التّيه نخرُجُ
كما خرج القومُ الأُلي كان قبلنا ** طواهم

(1) عبد الله الطّيّب "بانات رامة"، الخرطوم، الدّار السّودانية، 1970م، ص (183ـــ 184).

الى ليل الضّلالات منْهجُ

لقد عبّر البروفيسور / عبد الله الطّيّب عما يجيشُ بدواخله في هذه الأبيات الرائعةُ عن حبّه لمدينة رسول الله ولساكنها عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وأوضح أنّ حبه للمدينة حرّك قلبه، وذكّره بسراج الظلمة وشفيع الأمّة المصطفى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ والذي حبّهُ معلقٌ بحبة القلب، وثمرة حبه هو الإستمساك بهديه واتباع سنته اقتداءً بالسلف الصالح رضوان الله عليهم.

وللبروفيسور عبد الله الطّيّب قصيدة أخرى عنوانُها: "وادي النّيل البعيد" يقولُ فيها[1]:

وقد زرتُ بيت الله واخترتُ خيرتي ** بيثربَ إنّي للرسولِ ودودُ

وقد طفتُ بالبيتِ العتيقِ ولامست ** يدي ركْنه حين الزحام شديدُ

وروّيت نفسي من سُلافة زمزمٍ ** وعجّت لدى ضيق المقام وفودُ

وروض الرّخام الأحمر الرّوض عنده ** جلستُ وحبّي للرسول أكيدُ

تعشّقتُ فيه قبل أن أعرف الهوى ** وقد أورثتني سرّ ذاك جدُودُ

لقد أوضح لنا البروفيسور عبد الله الطّيب ما جاش في خاطره في جلوسه في الروضة الشريفة وتأمله لرخامها الأحمر وحبه الجارف للنبيّ ـــ عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، ثمّ وضّح أنّ هذا الحب

(1) بانات رامة، مصدر سابق، ص (136).

موروث ورثه عن أجداده الذين سُكنوا عشقاً بالنبيّ ومدينته المباركة، وعبّروا عن ذلك بشعرٍ رصين، ومن ذلك قول جده المجذوب[1]:

لقد طال شوقي يا أميري لطيبةٍ *** أُشخّصُها طوراً وطوراً أُناظرُ

وللشاعر السّوداني الكبير "محمّد مُحمّد علي" قصيدة رائعةٌ في الشّوق للنبيّ ولمدينته المباركة عنوانُها "ذكرى الهجرة" يقولُ فيها "2":

لذكراكَ يا خير النّبيين روعةٌ *** يصاحبهُ نورُ الهدى وتصاحبُهْ

هي الغيثُ إن ضنّ السَّحابُ بغيثهِ ** أفاضت أياديه وأخصب ساكِبهْ

يُحيلُ جديبَ الأرض جنّاتِ رحمةٍ **** وقد كان مقفاراً تروعُ سباسِبُهْ

هي النّورُ، بل في النّورِ منها ألاقةٌ ** وما النّور إن لم يبصرِ الحقَّ صاحِبُهْ

هي البلسم الشّافي لأدواء عَالَمٍ *** أصابت مآسيه وطاشت مذاهبُهْ

إليكَ رسولَ الله تهفو قلوبنا *** يخفُّ بها شوقٌ توقَّدَ لا هبهْ

وحب شُعراء السّودان لرسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولمدينته المباركة جعلهم يتتبعون الهجرة المباركة، ويذكرون فيها طيبة الطّيّبة، فكانت هجرته ـ عليه الصلاة والسلام ـــ وسيلةً لذكر المدينة المنورة، فيصف الشّاعر المدينة بالنور، بل النور

(1) ب قراطيس من دفق اليراع وبعض أنفاس التّرحال، مصدر سابق، ص (28)

يستمد من بريقها وهي البلسم الشّافي لدواء كل متيمٍ بطيبة الطّيّبة.

ولقد ارتبط العام الهجري في الشّعر السّوداني بأمجاد العرب وماضيهم العريق، فصاغوا ذلك شعراً يتسم بصدق العاطفة وجمال وقوة السّبك وروعة التّصوير ومن هؤلاء الشّاعر السّودانيّ المبدع (عبد الله محمّد عمر البنّا) في تحفةٍ نونيةٍ رائعة يستهلها قائلاً [1]:

يا ذا الهلالِ عن الدُّنيا أو الدّينِ ** حدِّثْ فإنَّ حديثاً منك يشْقيني

وقد تحدث فيها عن ماضي العرب التليد وتحسر على ما فاتهم من ذلك المجد بقلبٍ يقطر دماً وحثهم على استنهاض هممهم بتذكيرهم بعهود المدينة المنورة زمن النبيّ ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وصحابته قائلاً:

وعهدَ طيبةَ فاذكـــــــــــر فيه كلّ فتىً *** جَمِّ الرَّمادِ من الشُّم العرانينِ

واذكر ليالِيَ للفـــــــــــاروق أرَّقهُ *** فيها التُّقى وحنانٌ بالمساكينِ

وكم تفجّر فيها المصطفى كرماً ** عطفاً ورفقاً ببادي الفقر محزونِ

وللشّاعر: (صديق الأزهري)، قصيدةٌ معبرة أوضح فيها مكانة المدينة المنورة والعزّ الذي تفردت به على سائر المدن وأكد فيها أنه لا سعادة للمؤمن إلاّ في زيارة النبيّ ـ صلى الله عليه وسلم، وطيبة الطّيّبة، قال

(1) محمّد مُحمّد علي، "الحان وأشجان"، دار البلد، الخرطوم، 1960م، ص (105ـــ107)

فيها [1]:

ما العزُّ إلاّ للمدينةِ وحدها *** مأوى الرسولِ ومهبطُ الأملاكِ

علَّقتُ آمالي بها فتنزلت *** طوعَ المُنى من هامةِ الأفلاكِ

إن لم تكوني في الكتابِ سعيدةٌ ** يا نفسُ لم تصلِ إلى الشباك [2]

وللشّاعر السّوداني الكبير: "يوسف مصطفي التّني قصائدٍ عصماء جادت بها قريحته عبّر فيها عما يختلج في نفسه من أحاسيس ومشاعر نحو المدينة المنورة، وضح فيها بأنّ السعيد هو الذي يساعده القدر بأن يعود للمدينة المنورة مرةً أخرى، لان الرجوع اليها يعتبر عيد من الأعياد، يقول فيها [3]:

عُدنا لبابكِ والسّعيدُ يعودُ *** يومٌ نعودُ به لبابكِ عيدُ

جئنا نبل الشّوق طال زمانُه *** فإذا به بعد الوصالِ جديدُ

وكذا المحبُّ إذا رأى محبوبه *** يأتيه من فيضِ الغرامِ مديدُ

فذكر بأنّه أتى اليها ليبل شوقه الذي طال زمانُه، وأكدّ أنّ الوصال لا ينهي الشّوق الى المحبوب فإنّ الشّوق بعد الوصال يتجدد، وله

---

(1) البناء، عبد الله محمّد عمر البناء، الديوان، ط1، (1890م) مطبعة الحضارة، الخرطوم. ص (107 ـــ 108).

(2) الأزهري، الصديق عمر الازهري التيجاني، مدائح مختارة، نُشرت على الفيس بُك بتاريخ 15/ مايو/2013م

(3) مجلة المنهل، العدد499، المجلد 54، الرُّبيعان، 1413ه، سبتمبر/ أكتوبر 1992م، ص (173).

قصيدةٌ نظمها في أم درمان عام 1959م، عنوانُها: " أول الغيث" يقولُ فيها[1]:

يهنيك قلبي أن يقال أسيرُه *** حُبُّ على مجرى الدّماء مسيرُهُ
وبطيبةٍ الفيتُ غير مُبالغٍ *** فخراً يعزُّ على الزمان دثورُهُ
ومشيتُ حيث مشى الهدى فتَشُوقُني *** آثارُه وبقيعُه وقُبُورُهُ
والقُبةُ الخضراءُ تجلو ناظري *** وتهيجُ مكتوم الهوى وتُثيرُهُ
فتجيشُ في صدري العواطفُ جمّةً *** كالبحرِ جاش على الرّياحِ هديرُهُ

فقد وصف الشّاعر حُبّه الجارف للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعلُقه بطيبة الطّيّبة وزين أبياته بذكر معالم المدينة المنورة ومنها: " البقيع، وقبور الصّحابة بها، والقُبةٍ الخضراء، في اسلوبٍ بديع، ويوضح بأنه كلما ابتعد عنها ازداد شوقاً اليها.

وأما الشّاعر السّوداني الموهوب" عمران العاقب عبد المجيد"، فله قصيدةٌ رائيةٌ، عنوانُها "الهجرة" فازت هذه القصيدة بالمركز الأول في مسابقة الشّعر العالمية التي أجرتها الإذاعة البريطانيةُ بلندن عن الهجرة النبوية في العام 1980م، بدأها

(1) قراطيس من دفق اليراع وبعض أنفاس التّرحال، مصدر سابق، ص (28).

بقوله [1]:

ما ربعُ مكة إنْ غرّ الأليفُ به *** ربعٌ، ولا في حواشي ليلها سمرُ

الى أنْ قال فيها:

اللهُ أكبرُ ملءَ السّمْعِ ردّدها *** في مسْمعِ البيدِ ذاك الذّرُّ والحجرُ

فشاق يثربَ من تطريبهم نغمٌ *** تحدي به العيسُ إمّا ملّها السفرُ

تدنو فيدنو المُنى في سَعْدِ طالعها *** حتى بدا لهم في أفقها أثرُ

فللبشاشةِ في الوجدانِ مُرتبعٌ ****** وطالعٌ في وجوه السّفْر يَبتدِرُ

بمثله قُوبلوا حفّت بهم مُهجٌ ***** كانت لمطلعهم في الجمر تنتظِرُ

الدّينُ ألفهم شتّى مذاهبهم ********** فآمنت زُمرٌ في أثرها زُمرُ

وضمهم من قُباءٍ في تفرقهم ******* مبنى يُصلي بهِ عانٍ ومُقتَدِرُ

بلالُ صدّاحهُ كم هَزَّ أفئدةً ******* وفي العيونِ أتيُّ الدّمعِ ينهمِرُ

من خشيةِ اللهِ قد جفت جنوبهمُ *** مضاجعاً وتغشّى ليلهم سهرُ

وصف الشّاعر المبدع " عمران العاقب" شوق المدينة واهلُها وتلهُفهم الى لقاء النبيِّ ـ صلى الله علي وسلم ـــ في الهجرة المباركة، فقد كانوا ينتظرونه على أحرّ من الجمر، وقد ذكر فضل الإسلام والرسول على

(1) قراطيس من دفق اليراع وبعض أنفاس التّرحال، مصدر سابق، ص (31).

أهل المدينةِ
بأن ألف بين قلوبهم وأصبحوا بنعمة الله إخواناً بعد أن كانوا أعداءً يتقاتلون فيما بينهم، وقد زين القصيدة بذكر معالم وأعلام طيبة الطّيبة مثل " قباء، والمسجد النبوي، وبلالاً بصوته الشّجي ينادي بالآذانِ للصلاة.
وها هو الشّاعر السّودانيّ المسكون عشقاً برسول الله وبمدينته المباركة، "مُحمّد الحبيب السّيّد" جاشت قريحته بقصيدة عصماءِ الفها بعد قدوم حجاج السّودان من أداء فريضة الحج، يستهلها قائلاً [1]:

عادوا مع الرّكبِ والآمالُ ترتقِبُ *** وفرحةُ القلبِ في الأعماقِ تضطرِبُ
وحين حلُّوا بأرض المصطفى وجدوا *** لفرحةِ الرُّوحِ إحساساً له العجبُ
بالأمسِ ساروا فباتوا في مواطنهم *****
واليوم عادوا الى الأوطانِ فاغتربوا
حتى الدُّموع التي راحوا بها رجعت *****
كقطرة النُّور بالأضواء تنسكِبُ
راحوا وعادوا ومازالت خواطرهم *****
أنينُ موجٍ ببحر الحبّ يصطخبُ
قد كان لي موعدٌ في ركبهم فمضُوا *******
وخلَّفوني بنار الشّوق ألتهبُ
يسري بي القُرْبُ في بُعْدٍ أتيهُ به ******
حتى أرى البُعدَ في دُنياي يقترِبُ

فحبّ الشّاعر وشوقه الشّديد لمكة والمدينة جعلهما هما الوطن الأصل للحجاج، وسيكونون

(1) قراطيس من دفق اليراع وبعض أنفاس التّرحال، مصدر سابق، ص (32).

غرباء إذا رجعوا الى وطنهم ومسقط رأسهم عندما يرجعون اليه من حجهم، وهذا هو الجديد المبتكر في شعره، وهو في زعمه هذا اتكأ على حديث رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم في قوله: "إنّ الإيمان لَيَأرِزُ الى المدينةِ كما تأرِزُ الحيّةُ الى جُحْرِها"[1]، ولمّا كانت المدينةُ مَأرِزَ الإيمانُ كانت هي موطن المؤمنين جميعاً.

ونختم هذا المبحثُ بالشّاعر المسكون عشقاً بمدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـــ والذي كان أوفر الشّعراء حظاً؛ بان كرمه المولى ـ عزوجل ـ بأن يُنتدب للتّدريس بجامعة المدينة المنورة وسكن في المدينةِ خمسة عشر عاماً في الفترة من عام 1977م والى العام 1992م، وعند قرار انتدابه قال قولته المشهورة، (المدينةُ تأتيني في بيتي)، وأعني بذلك شيخي وأستاذي ـــ رحمه الله ـــ " الأستاذ الدّكتور/ بابكر بدوي دوشين والذي كان من شدة حبّه للمدينة كان يرى كلَّ شيءٍ فيها دواءٌ وشفاء حتّى غُبارها حين يُكنس فقال في ذلك[2]:

غبـــــارُ المدينةِ إذ يُكنسُ ********** شفاءٌ تصحُ به الأنْفُسُ

---

(1) الإمام زين الدّين أحمد بن عبد اللّطيف الزبيدي، "مختصر صحيح البخاري": المسمى التجريد الصّحيح لأحاديث الجامع الصحيح، بيروت، لبنان، دارُ النفائس، ج1، ط2، 1046ه/1986م، ص (202).

(2) بابكر البدوي دُشين، ديوان الشّيخ بابكر البدوي دُشين، جمع وتحقيق ودراسة/ الدّرديري أحمد جابر جُمعة سهل، الخرطوم، شركة مطابع السّودان للعملة المحدودة، 2013ه، ص (79).

فيا حبذا نخلُها المشتهى ********** وغرسُ
على تُربها يُغرسُ
نزورُ النبيّ لدى روضةٍ ********** نُسلمُ فيها ونستأنسُ
ونغْبِطُ قوماً لديها ثوَوْا ********** أقاموا وليلاً هُنا عرّسُوا [1]

فتحدث في الأبيات عن شوقه الى المدينة والى نخلها والى الروضة الشّريفة وعن القوم السّعداء الذين تشرفوا بالجلوس فيها وقت السّحر. وعندما انقضت فترة تعاقده بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودعها بقصيدة عصماء من بحر الوافر سماها ب "الرّاحلة والزاد" يقول فيها [2]:

لجامعة المدينة في فؤادي ****** وشائجُ ألفةٍ وعُرى ودادي
قضيتُ بسوحها الفيحاءُ خمساً ****** وعشْراً هُنّ راحلتي وزادي
أُودِّعُها وقد أطلعن صُبحاً ******* يُضيءُ بلمتي بعد السّوادِ
أُدِّعُها وفي عُنُقي استقرت ********** لها ولكل من فيها أيادِ
بفضل الله ثمّ بها افدنا ********** جوارَ المصطفى خير العبادِ
عليه صلاةُ ربّي كُلّ حينٍ ********** مع التسليم تهمى كالعهاد [3]

---

(1) عرّس القوم نزلوا بمكان في وقت السّحر
(2) المصدر السابق نفسه ص (75ـــ78)
(3) العهادُ واحِدُ العهْدُ: وهو كلُّ مطَرٍ بعد مطَرٍ. 2/ ابن الجهم هو أبو الحسين علي ابن الجهم بن بدر بن الجهم الشّاعر العبّاسيّ المشهور.

أُزينُ بذكـــــره شعْري وتبقى
********** محبّته بقلبي في ازديادِ
اليس الـــــــجزع حنّ اليه شوقاً
********** وحياه الحفيُّ من الجمادِ
حننتُ الى المدينةِ من قريبٍ **********
حنيني يَومَ كُنْتُ على البعَادِ
ويمضي الشّاعرُ في داليته الرّائعةُ مُشيداً بجامعة المدينة المنورة والتي شرُفت بموضعها في ربوع طيبة الطيبة يقول:
لَجَـــــــــــــــامِعَةٌ لها يسْتَنُّ ذكْرٌ
****** حميدٌ في الحواضرِ والبوادي
هـــــنالك في المدينةِ حيثُ القت ****
عصاها في العقيقِ بخيرِ وادي
لـــــدى الوادي الوضيء يَشِعُّ منها ********
سَناَ نُورٍ من الإيمانِ بادِ
لـــــــــدى بِئْرٍ لِعُرْوةَ ذاتِ عَذْبٍ *******
تُمَدُّ له الدِّلاءُ لِكُلِّ صادِ
وكان الشّاعِرُ ابن الجَهْمِ عدّى *** وطوَّف بالعقيقِ على الهوادي
وفيه إشارة الى قول على بن الجهم:
هذا العقيقُ فعدّ أي *** دي العيس عن غلوائها
وإذا مررت بِبِئرِ عُرْ ***** وَةَ فاسقني من مـــــــائها
ويقول مشيداً بجامعة المدينة وبشرف مكانها إذ أنشئت في خير بقاع الأرض المدينة المنورة:
لقد شَرُفَتْ بِمَوْضِعِها وقامتْ *** بطيبة في

مُنيفٍ ثمّ طادِ[1]
وقد عَذُبتْ مَوارِدُها فخفّت **** لها الورَّادُ
مِن كُلَّ البلادِ
من الصّينِ البعيدةِ من أُربا *** وتُرْكُسْتانَ
مِنْ بورما وشادِ
وفي تسمية القصيدة "بالراحلة والزاد" علّق الشّاعر في ديوانه قائلاً: "أخذتُ عبارة راحلتي وزادي من قول الشّاعر المبدع أبي تمام الطّائي في مدحه لعبد الله بن أبي دوؤاد قائلاً[2]:
وما سافرتُ في الآفاقِ إلاّ ** ومن جدواك
راحلتي وزادي
فالقصيدة رائعة وشائقة بثّ فيها الشّاعر حُزْنه والمه لفراق طيبةُ الطّيبة وجامعتها العريقة.
وجعلنا مسك الختام لباعث النهضة الشعرية في السّودان وبارودي السّودان الشّيخ الشّاعر "محمّد سعيد العباسي" والذّي شبه شوقه وحنينه لأرض الكنانة مصر، بشوقه لمكة والمدينة في قصيدةٍ عنوانها "آمال السّودان في مليك الوادي" إذ يقول فيها[3]:
مصرٌ وما مصرٌ سوى الشّمس التي *** بهرت

---

(1) الطّادي: قلبٌ مكاني وأصلُها الواطد أي القويّ الثّابت، والبيت اتكأ فيه الدُّشين على بيت شعْرٍ للشّاعر التّغلُبيّ " القُطامي وذلك في قوله: ما أعتاد حُبّ سليمى حين معتادِ ** ولا تقضّى بواقي ديْنِها الطّادي
(2) ديوان أبي تمام، ضبطه وشرحه الأديب شاهين عطية، ط1، الدار العلمية للكتب، بيروت، لبنان، 1971م ص" 79ـــ
(3) محمد سعيد العباسي، الديوان، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، ص (22ـــــــ26)

بثاقب نورِها كُلّ الورى
ولقد سعيتُ لها فكُنتُ كأنّما
*** يسعى لطيبة أو إلى أمّ القرى

والمشبه به عند علماء البيان لابد أن يكون أقوى من المشبه، نسأل الله الإعانة والتوفيق.

الخاتمة:

الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، ونصلي ونسلم على المبعوثِ رحمةً للعالمين، نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبع هُداه وسار بنهجه الى يوم الدّين وبعد،

ونحمده بأن وفق الباحث للمواصلة في البحث والتنقيب وإظهار الدّرر الكامنة في الأدب السّوداني، والذي لم يجد الرعاية والعناية الكاملة من أهل الإعلام والبحاثة

في سودانا الحبيب، ونكثر من الحمد والثناء عليه بان يسر للباحث إتمام بحثه والذي وثق فيه لشعراء الشّعر السوداني الفصيح والذين جاشت قرائحهم بالتّعبير عن حبهم وشوقهم لمدينة رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وقد خلُص البحث الى نتائجٍ وتوصيات أهمها:

اولاًـــ النتائج:

1/ الذي غير اسم يثرب الى المدينة هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم.

2/ ورد اسم يثرب في القرآن الكريم مرةً واحدةً في الآية/13 من سورة الأحزاب

3/ ذُكر اسم المدينة في القرآن أربع مرات في الآيات (120من سورة التوبة)، (60 من سورة الأحزاب)، (8من سورة المنافقين)، و(101من سورة التوبة).

4/ تأسست المدينة قبل هجرة النبيّ ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بألفٍ وخمسمائة سنة.

5/ البحث أورد نماذج لأجمل ما قيل عن المدينة في الشعر العربي والإسلامي.

6/ البحث بصّر القارئ الكريم بما عبر عنه شعراء الشعر الفصيح بالسّودان عن حبهم

لطيبة الطيبة.

ثانياً ـــ التّوصيات:

1/ ضرورة التوثيق لشعراء الشّعر الشّعبي بالسودان؛ إذ ورد في ديوان شعر الشّيخ حياتي لوحده اسم المدينة أكثر من مائتي مرة.

2/ ضرورة التوثيق للشّعر السّوداني الشّعبي والفصيح والذي عبر فيه شعراء السّودان عن حبهم لمكة المكرمة.